النقد الإيكولوجي، وأدب الأطفال:
مقاربة سيميائية لقيم الوعي البيئي في الجمهورية الجديدة

د. محمد عبد الله محمد
مدرس بكلية الآداب، جامعة بنها،
وأ. جهاد السيد عبد العزيز
مدرس مساعد بكلية الآداب، جامعة بنها

المقدمة

لقد زاد اهتمام الدولة بالبيئة وقضاياها، بعد أن باتت قضية مُلحة على ساحة الحياة؛ فتنبه لها الجميع كل في تخصصه، فهي قضية لا ينفرد بها مجال محدد، إنما تشترك مجالات عدة في تناولها والاهتمام بها، مثل: علم البيئة، والفلسفة، والأدب، والنقد، والجغرافيا، ...إلخ، ويحاول الجميع التكاتف معًا من أجل التخلص من الأزمات البيئية، ومخاطرها التي أصبحت تهدد حياة الإنسان على كوكب الأرض.

وفي ظل سعي الدولة نحو جمهورية جديدة كانت البيئة ومشكلاتها إحدى الملفات التي تبنتها الدولة، وسعت إلى وضع خطط للمحافظة عليها، وأسهمت في نشر الأفكار الداعمة للوعي البيئي والجمالي، والتنبيه على الأخطار البيئية التي تحيط بنا، ودعت إلى ضرورة تكاتف أفراد المجتمع مع مؤسساته المختلفة للحد من الأخطار التي تهدد البيئة.

ويُعد الإبداع الأدبي وسيلة من وسائل تنمية الوعي البيئي والجمالي داخل المجتمع؛ لذا نجد المبدعين انشغلوا بالبيئة وقضاياها التي نالت حيزًا كبيرًا من إبداعهم الأدبي في مختلف العصور– بدءًا من العصر الجاهلي الذي اهتم فيه المبدع بالبيئة الطللية، وبيئة الحيوان، وبيئة النبات... إلخ– إلى الحد الذي يمكنك تمييز أدب عصر عن عصر آخر من خلال ملامح البيئة في النص الإبداعي.

وأدب الأطفال جزء من الأدب العام، وكُتَّابه أفراد من مبدعي الأدب؛ ولذا كان لا بد أن يتأثر كُتَّاب أدب الطفل بالبيئة وقضاياها، ويسعون إلى تبصير الأطفال ببيئتهم، وتنمية إحساسهم بضرورة المحافظة عليها ضد أي عبث يمكنه أن يخرجها من طبيعتها التي اعتاد الإنسان أن يراها بها، كما أن الأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة لديهم الرغبة في اكتشاف عناصر البيئة المحيطة بهم، ودافع الفضول عندهم أكبر؛ ولذلك يتوجب على كاتب أدب الطفل إرضاء دوافعهم ورغباتهم في الاكتشاف، وتوجيههم في الاتجاه الصحيح.

ونتيجة لاهتمام الأدب بأزمات وقضايا البيئة ظهر النقد الإيكولوجي الذي يتناول البيئة في النص الأدبي وعناصرها، ويبحث عن أسباب حضورها في النص، ويكشف عن الجوانب الثقافية والأدبية والجمالية التي أثرت في رؤية الكاتب، ويبحث عما ينطوي عليه النص من قيم بيئية متوارية خلف الصور الجمالية.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتوضيح العلاقة بين أدب الأطفال والنقد الإيكولوجي، ومدى اهتمام أدباء الأطفال بقضايا البيئة، وتنمية الوعي البيئي والجمالي لدى الطفل، وذلك من خلال تقسيم الدراسة إلى أربعة محاور، هي:

- **المحور الأول:** الجمهورية الجديدة وجهودها في الحفاظ على البيئة، ويتناول مكانة البيئة في ظل الجمهورية الجديدة، ومدى اهتمامها بالبيئة وقضاياها.
- **المحور الثاني:** البيئة بين النظرية العلمية والنظرية الأدبية، ويقدم التعريف بالبيئة، ومجالات دراستها، وانتقالها من الدراسة العلمية إلى الدراسة الأدبية.
- **المحور الثالث:** النقد الإيكولوجي وتفسيره للقضايا البيئية، ويتناول منهج النقد الإيكولوجي، وكيفية تعامله مع النص الأدبي البيئي.
- **المحور الرابع:** أدب الأطفال، والوعي البيئي والجمالي، ويدرس العلاقة بين أدب الأطفال والبيئة، ويبين مدى اهتمام كُتَّابه بتنمية الوعي البيئي والجمالي لدى الطفل.

المحور الأول: الجمهورية الجديدة وجهودها في الحفاظ على البيئة

لم تكن الجمهورية الجديدة التي أعلن عنها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في التاسع من مارس ٢٠٢١، أثناء الندوة التثقيفية الثالثة والثلاثين للقوات المسلحة، لتقتصر على الجوانب السياسية والاقتصادية فقط[١]، بل كانت البيئة وجمالياتها من القضايا التي شغلت الجمهورية الجديدة، وكذلك الاهتمام بالوعي البيئي لدى الأفراد، وإحساسهم بضرورة المشاركة الفعالة في ضرورة الحفاظ على بيئة نقية متوازنة؛ وقد سعت الجمهورية الجديدة إلى محاولة إيجاد حلول لأزماتها، من حيث:

- القضاء على العشوائيات، وما كانت تحمله من قبح بيئي.
- محاولة وقف منحنى التدهور البيئي الناتج عن تراكم المخلفات.
- الخروج إلى بيئات ومدن جديدة تقليلًا للتلوث والازدحام.
- تنظيم الجلسات نقاشية حول إطلاق الحملة الوطنية للتوعية بقضية التغيرات المناخية تحت شعار (رجع الطبيعة لطبيعتها).

- إطلاق العديد من المبادرات البيئية التي تهدف إلى التحول للأخضر على الساحة الوطنية والمحلية، مثل: مبادرة اتحضر للأخضر، ومبادرة (إيكو إيجيب) التي تهدف إلى الترويج لعدد ثلاث عشرة محمية طبيعية، ومبادرة (E_tadweer) لإعادة تدوير المخلفات الإلكترونية، ومبادرة (مناخنا...حياتنا)، بالتعاون مع الأزهر الشريف؛ لنشر الوعي البيئي من خلال الواعظين (٢).
- التعاون مع وزارة التربية والتعليم؛ لإعداد مادة تدريبية لتبسيط المفاهيم البيئية للطلاب، ودمجها في حياتهم اليومية(٣).
- التعاون مع الإعلام لنشر رسائل الوعي البيئي، وتبصير المواطنين بضرورة الحفاظ على البيئة، وتعريفهم بقضايا تغير المناخ.
- ترسيخ البُعد البيئي في كل قطاعات الدولة، والحد من التلوث وتأثيره على البيئة.
- الخروج بمشروع القانون الموحد للبيئة؛ لحماية الثروات الطبيعية والمحميات الطبيعية والتنوع البيولوجي، وتطوير قانون البيئة بما يحقق التوازن بين عمليات التنمية والحفاظ على البيئة.
- عقد المؤتمرات المختلفة المختصة بتغير البيئة والمناخ، واستضافة مصر للدورة ٢٧ من مؤتمر الدول الأطراف لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية حول تغير المناخ (COP٢٧) الذي يعد نقلة كبرى في الاهتمام بقضايا البيئة وأزماتها.

وهكذا تسعى الجمهورية الجديدة إلى التنمية الشاملة وعلى كافة المستويات، وشغلت البيئة حيزًا كبيرًا من الاهتمام في التحول نحو الجمهورية الجديدة.

المحور الثاني: البيئة بين النظرية العلمية والنظرية الأدبية

تُعرف البيئة بأنها "المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية الذي يتضمن بمعناه الواسع العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية والإنسانية التي تؤثر في أفراد وجماعات الكائنات الحية، وتحدد شكلها وعلاقتها وبقاءها"(٤).

ويعرفها زكريا طاحون بأنها: "المحيط الحيوي والحيز أو الفراغ الذي يستوعب جميع الكائنات، وأنها الحالة التي تحقق الصحة والسلامة والأمان، والراحة الذهنية والعصبية والبصرية والسمعية للكائنات الحية، من إنسان، وحيوان، وطير، ونبات، وكافة كائنات كوكب الأرض"(٥).

إن علم البيئة من العلوم متداخلة المعارف، يقوم على دراسته أكثر من علم كعلم الأحياء Biology، وعلم الأرض Earth science، ومع التقدم العلمي قسَّم المعنيون بعلم البيئة هذا العلم إلى علوم فرعية أكثر تخصصًا، منها: علم البيئة البشرية، وعلم البيئة الاجتماعي، وعلم البيئة السلوكي، وعلم بيئة التلوث، وعلم البيئة الجغرافية، وعلم بيئة معالم الأرض...إلخ[٦]، ولم يقف التفكير في دراسة البيئة عند الدراسة العلمية فقط، بل امتدت دراستها في ميادين متنوعة، منها: الفلسفة، والتاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللغة، والأدب، والنقد؛ وبذلك يمكننا الإشارة إلى أن التفكير بأزمة البيئة وقضية تهميشها مرَّ بثلاث مراحل: مرحلة اخضرار العلوم، ومرحلة اخضرار الدراسات الإنسانية، ومرحلة اخضرار الفلسفة والدراسات الثقافية"[٧].

والإنسان هو جزء من هذه البيئة ونظامها الكوني، يعيش فيها ويتفاعل معها، بما يحقق له الانسجام التام مع عواملها المختلفة، والمبدع هو كائن بشري لا يختلف عن البشر العاديين في النوع، لكنه يختلف عنهم في درجة الوعي والنضج الفكري؛ ولذا كان من الطبيعي أن تشغل البيئة ومفرداتها حيزًا من الإبداع البشري عامة، والإبداع الأدبي خاصة.

فقد انشغل الأدباء في إبداعاتهم الشعرية والنثرية بالبيئة ومفرداتها، وقد تركت البيئة بكل عناصرها تأثيرًا كبيرًا على هذا الإبداع، وقد أرجع (هيبوليت تين) سبب اختلاف النتاج الأدبي والفني عمومًا إلى عوامل ثلاث:

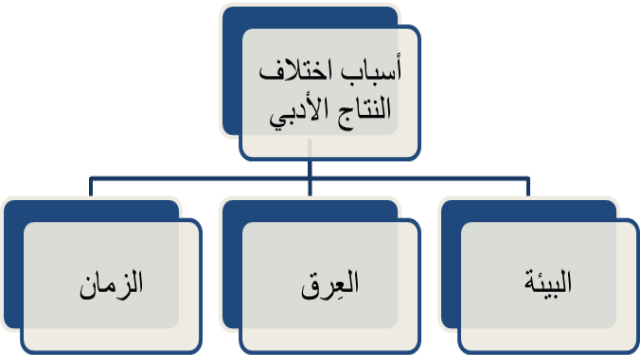

البيئة، أو المكان أو الوسط: بمعنى الفضاء الجغرافي، وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.

١. **العِرق أو الجنس:** بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.

٢. **الزمان أو العصر:** أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرًا على النص[٨].

ليست البيئة بمعناها الجغرافي فقط من العناصر التي تترك تأثيرًا على الأدب، وإنما البيئة بكل ما تحمله من عناصر يتفاعل المبدع معها، ويحاكيها في سياق أدبي قابل للتأويل والمعالجة، فالبيئة هي أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، والخالقة لبعض فنونه، والمكونة لأكثر عناصره، فهي تخلع عليه جميع ألوانها، وتهب له كل مظاهرها(٩).

فالمبدع هو ابن لبيئته، ومفردة من مفرداتها؛ لذلك نجد الشعراء الذين يعيشون في الصحاري أجزل لفظًا، وأوضح معنى، فإذا جاوزت الصحراء إلى الحضر تجد في ألفاظهم رقة، وفي معانيهم خيالًا مركبًا(١٠).

ولذا فإننا نجد أن لكل عصر من عصور الأدب سماته وألفاظه الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من العصور، فعندما نقرًا شعرًا جاهليًا نجده مختلفًا في صوره وألفاظه ومعانيه عن الشعر في العصر الأموي أو الإسلامي، وغيرها من عصور الأدب؛ وذلك لأن الشعر الجاهلي كان صورة فنية جمالية للبيئة التي صدر عنها أبناؤها بخصائصها وأشكالها، فعندما كانت الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر طبيعة تفرضها البيئة في ذلك الوقت، أصبحت الرحلة والبكاء على الطلل من الأغراض الأساسية في الشعر الجاهلي، يقول امرؤ القيس في معلقته: قفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسِقطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

تشكل بيئة الطلل مرتكزًا رئيسًا في الأدب العربي القديم؛ إذ يعبّر الشاعر من خلاله عن احتفائه الشعري بالمكان، فهو استنطاق للديار، علها تجيب الشاعر عمن رحل عنها، فقد وقف الشاعر واستوقف، وبكى واستبكى، وهذا يعني أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة وصفية فحسب، بل الشاعر لم يعترف بما آلت إليه هذه الديار من تغير، إنها حالة نفسية ملأت قلب الشاعر ووجدانه، وانعكست على البيئة من حوله، ولم يكن الطلل وحده الذي يمثل البيئة الجاهلية، بل هناك كذلك: بيئة الصحراء، وبيئة الحيوان، وبيئة المناخ، والنبات، وأدب البدو، وأدب الحضر(١١).

وعندما عاش المبدع في بيئة أكثر استقرارًا وبدأ في إقامة حضارة إنسانية؛ نجد الشعر بدأ يتخلص من هذه المقدمة الطللية إلى غيرها من الأغراض الشعرية الأخرى، وعليه فإن البيئة بكل معطياتها ومفرداتها تؤثر تأثيرًا كبيرًا على الإبداع الأدبي.

المحور الثالث: النقد الإيكولوجي وتفسيره للقضايا البيئية

امتدت الدراسات البيئية إلى حقول الفلسفة والعلوم الإنسانية بعد أن اقتصرت ردحًا من الزمن على العلوم الطبيعية، ونشأت الحركات البيئية في ستينيات القرن العشرين مستندة إلى معطيات الدراسات العلمية عن وقائع التدهور البيئي؛ كي تدعو إلى ضرورة المحافظة على البيئة ومعالجة مشكلاتها، وتوالت الدراسات بعد ذلك في الثمانينيات لدراسة العلاقة بين البيئة والإنسان(١٢).

وتزايدت الدراسات والحركات التي نادت بوقف جماح الاستغلال البشري للموارد الطبيعية؛ فنشأت حزمة من الأحزاب والجمعيات والفلسفات اتخذت من اللون الأخضر شعارًا لها(١٣)، وانتقلت العلاقة بين الإنسان والبيئة إلى الدراسات الأدبية والنقدية التي حذت حذو الفروع المعرفية الأخرى.

إن علاقة الأدب بالبيئة علاقة قديمة، نشأت منذ نشأ الأدب، والنقد والأدب وجهان لعملة واحدة؛ إذ يهتم النقد بما يشغل الأدب من قضايا ومشكلات، وبما يؤثر في أدبهم، وبما يتأثرون به، وإذا كانت البيئة بكل عناصرها: المكان، والحيوان، والنبات، والماء... إلخ، وكذلك الأزمات البيئية وأخطارها التي تهدد حياة الإنسان من الأمور التي حازت على اهتمام الأدباء، فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على النقد الأدبي ومناهجه؛ فظهر مصطلح النقد الإيكولوجي، "للتشديد على أهمية المكان والطبيعة والبيئة محليًا ووطنيًا وعالميًا، وذلك ضمن منظور نقدي إيكولوجي معاصر، بعد أن انتشر التلوث والأمراض المعدية في المجتمعات الصناعية المتقدمة وغير المتقدمة، وأصبحت الحياة الإنسانية مهددة بشكل خطير فوق هذه الكرة الأرضية برًا وبحرًا وجوًا"(١٤)، وقد ظهر هذا المصطلح عام ١٩٧٨م على يد (ويليام روكرت) من خلال مقاله (الأدب وعلم البيئة: تجربة في النقد البيئي).

وربما كان النقد البيئي من المناهج النقدية الأقرب إلى أدبنا العربي؛ إذ تُشكل البيئة مرتكزًا واضحًا في التراث الأدبي العربي، وفي أدبنا الحديث أيضًا، لكن يجب علينا أن نفرق بين وصف الطبيعة الخارجي والوعي البيئي، فوصف شجرة مثلًا دون وعي بأهميتها وجمالها من الصعب إدخاله في دائرة الأدب البيئي، وإلا لعُدَّ الشعر الرومانسي كله شعرًا بيئيًا، فالأدب البيئي يشترط إحساس الكاتب بالبيئة، التي يعد جزءًا منها، وأن الإنسان مفردة من مفرداتها؛ ولذ فإننا نتغاضى عن الأدب الواصف للطبيعة دون فهمها ودون محاورتها، ودون الوعي بها(١٥).

ويُعرّف النقد البيئي بأنه المنهج "الذي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية في ضوء نظرية بيئية إيكولوجية، تبحث عن مكانة البيئة أو الطبيعة أو المكان أو الأرض أو الحياة داخل الإبداع الأدبي والفني، وذلك بالتنظير والتحليل والقراءة والفحص والدراسة، بغية رصد رؤى الكُتَّاب والمبدعين والمثقفين تجاه البيئة"(١٦).

وقد أشار الناقد الإنجليزي (دونل دريس) إلى مجالات اهتمام النقد البيئي، ومنها: "أنه يُعنى بدراسة مركزية المناظر الطبيعية في الخطاب الشعري أو النثري، بشرط تجاوز حدها الظاهري إلى تحليل انعكاسها على الذات، ويجيب عن أسئلة من قبيل: كيف قدَّم المبدع هذه المشاهد؟ وما موقفه الأخلاقي منها"(١٧).

وبذلك يمكننا القول إن النقد البيئي ليس مجرد وصف لعناصر البيئة التي تناولها المبدع الأدبي في إبداعه، وإنما "يمتد كذلك ليحلل الجوانب الثقافية والأدبية المؤثرة في رؤية الكاتب، ويهتم بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية، كما يُعنى بالتفتيش عن سبب حضور البيئة في النص، ومكونات الطبيعة المعبَّر بها في الصور البلاغية، وما ينطوي عليه العمل من قيم إيكولوجية، بالإضافة إلى الكشف عن وجهات النظر الخاصة بالبيئة داخل النص"(١٨).

المحور الرابع: أدب الأطفال، والوعي البيئي والجمالي

إن أدب الطفل هو نوع من الإبداع الأدبي موجّه إلى الطفل في مراحله العمرية المختلفة، وكاتب أدب الطفل هو واحد من المبدعين الذين يعيشون في البيئة ويتأثرون بها ويؤثرون كذلك فيها.

ويقع على عاتق كاتب أدب الأطفال دور كبير في نقل صورة هذه البيئة بكل معطياتها وعناصرها وثقافتها إلى الطفل؛ لأن الطفل في مراحله العمرية المختلفة يميل إلى اكتشاف عناصر البيئة من حوله محاولًا اكتشاف خبايا عالمه الخاص، وطرح العديد من الأسئلة؛ لاكتشاف الأشياء الجديدة المحيطة به، وذلك بدافع حب الاستطلاع والاكتشاف الذي يلعب دورًا أساسيًا في بناء شخصية الطفل وتنميتها من الجوانب: العقلية، والعاطفية، والاجتماعية؛ ولذا يتوجب على أدب الطفل أن يمده بالمعرفة، والمعلومات التي تساعده على اكتشاف هذه البيئة، وإشباع فضولهم وشغفهم نحو بيئتهم(١٩)، فنجد محمد الهراوي يحاول وصف عناصر البيئة للطفل، فيقول في وصف البستان:

أُنْظُرْ إلى البستانِ ذي الأزهارِ والماءِ تحتَ الأيكِ والأطيارِ
الماءُ يجري في الجداولِ سَلْسَلًا يَسْقي جُذُورَ النَّخلِ والأشجارِ
والزَّهرُ أشكالٌ على أفنانِه والغصْنُ نَضْرٌ يانِعُ الأثمارِ
والطيرُ يَصْدَحُ بينها مُتنقلًا ويَعودُ عِندَ الليل في الأوكارِ
هذا صَنيعُ اللهِ بينَ عِبَـادِهِ فتباركَ اللهُ القديرُ البَاري[٢٠]

ويرفق الهراوي مع قصائده صورًا تساعد الطفل أكثر على معرفة ما يصفه في شعره، ونجد أن الهراوي لا يقصد وصف البستان فقط للطفل، وإنما ينقل إليه صورة جميلة من صور الطبيعة؛ فينمّي في داخله الوعي بضرورة المحافظة على ذلك الجمال، من البستان بأزهاره الجميلة، والماء ينساب في الجداول بسلاسة وعذوبة؛ ليسقي الأشجار والنخيل، والطير الذي ينتقل بين الأزهار اليانعة يشدو أعذب الألحان، ويعود في الليل إلى أوكاره، هذه الطبيعة كما خلقها الله نقية جميلة هادئة في منظرها الخلاب، وعندما يرسخ في ذهن الطفل الطبيعة بهذه الصورة الجميلة فإنه سيعتاد على رؤيتها بهذا الصفاء، وإذا وجدها بخلاف هذه الصورة نتيجة التلوث فإنه سيدرك أن هناك اختلال حدث غيّر من هذه الطبيعة؛ ولذا سيسعى جاهدًا للحفاظ عليها.

وقد بدأ الهراوي قصيدته بفعل الأمر (انظر) في سياق إيقاعي نغمي تسيطر عليه تفعيلة بحر الكامل المضمرة (//٠//٠) التي شكلت ٨٥% من تفعيلات الحشو، مما يؤدي إلى بطء الإيقاع النغمي الذي يتجادل من دعوة الطفل إلى التأمل الوئيد في جماليات الطبيعة المحيطة بالبستان، حيث الأزهار متنوعة الألوان، والأطيار الصداحة بأعذب الأصوات، وأغصان الأشجار اليانعة، والنخل دائم البهجة والجمال، وجداول المياه التي تجري حاملة الحياة لجميع المخلوقات.

إنها لوحة تشكيلية بديعة لم تكن إلا من صنع إله قدير خالق حث عباده على تأمل نعمه التي لا تحصى. وقد استخدم الشاعر حرف الروي (الراء) الذي من خصائصه قوة الوضوح السمعي؛ ليكشف أن ما أبدعه القدير البارئ يتجلى بوضوح، يمكن للطفل تأمله، والتمتع بجماله.

ولا يقف أدب الطفل عند تبصير الطفل بالوعي الجمالي فقط، إنما يمتد ليزرع في نفوس الأطفال الرغبة في المحافظة على البيئة وحمايتها من الأخطار التي تهدد توازنها الطبيعي، والرفق بالكائنات الأخرى التي تشارك الإنسان في بيئته، فأحمد شوقي قد دعا

الأطفال إلى الرفق بالحيوان، هذا المخلوق الضعيف الذي خلقه الله تعالى، يقول في قصيدة الرفق بالحيوان:

الحيوانُ خَلْقُ له عليكَ حَقُّ
سَخَّرَهُ اللهُ لكا وللعِبادِ قَبْلَكا
حَمُولَةُ الأثقالِ ومُرْضِعُ الأطفالِ
ومُطْعِمُ الجماعهْ وخَادِمُ الزراعه
مِنْ حقِّهِ أن يُرْفَقَا بــه وألا يُرْهَقا
إِنْ كَلَّ دَعْهُ يَستَرِحْ وداوِهِ إذا جُرِحْ
ولا يَجُعْ في دارِكا أو يَظْمَ في جِواركا
بهيمةٌ مِسكينُ يشكو فلا يُبينُ
لِسانُهُ مقطوعُ وما له دُموعُ[٢١]

إن أحمد شوقي يحث الأطفال على ضرورة الرفق بالحيوان، فهو مخلوق من مخلوقات الله، وله علينا حق رعايته والحفاظ عليه، ويستفيد منه الإنسان في أمور كثيرة منها: حمل الأثقال، وتوفير الألبان واللحوم، وكذلك يساعد الفلاح في الزراعة؛ ولذا يجب علينا ألا نرهقه، وأن نرفق به، فإذا أُرهق فله حق الراحة، وإذا مرض فله حق المداواة، وإذا جاع فله حق الطعام، وإذا ظمأ فله حق الماء؛ لأنه مخلوق ضعيف لا يملك القدرة على النطق أو البكاء عند التعب.

فبيئة الحيوان هي جزء من البيئة العامة التي يعيش فيها الإنسان، ولكي تستمر هذه البيئة في نظامها المنضبط المتوازن يجب حماية كل عناصرها، وتربية الطفل على إحساس الرفق بالحيوان من شأنه أن يضبط نفسه على الحفاظ على بيئته، والرفق بكل المخلوقات.

وقد اعتمد أحمد شوقي على إيقاع بحر الرجز المجزوء في القصيدة، وهو بحر معروف أنه سريع الإيقاع، لكن الشاعر استخدم تفعيلته التي لحقها الخبن (//٠//٠) وقد شكلت نحو ٦٦,٦% من التفعيلات، واستخدم تفعيلة (/٠//٠/٠) سالمة أربع مرات بنسبة ٢٢,٢%، واستخدم تفيلة الرجز بعد دخول الطي عليها (/٠//٠) مرتين فقط بنسبة ١١,١%، وبذلك كانت تفعيلة (//٠//٠) في التفعيلة الغالبة في الاستخدام؛ مما يتسبب في بطء الإيقاع قليلًا كأن الشاعر يريد من الطفل أن يتمهل عند مبدأ الرفق بالحيوان، ويرسم له صورة المعاناة التي قد يعاني منها الحيوان، ويعدد له فوائده للإنسان، وأنه لن يستطيع البكاء أو الكلام؛ لذلك علينا مراعاته والرفق به.

أما القافية التي استخدمها الشاعر فهي قافية متنوعة تنوعت بين (/٠/٠)، و(/٠//٠) حتى يطرد الشاعر الملل عن الطفل، ويحقق له الاستمتاع بما يستمع إليه، ويدرك الصور التي يحاول الشاعر رسمها في ذهنه من معاناة الحيوان، وفوائده التي تعود علينا، وعدم قدرته على التعبير عمَّا يعانيه.

ونجد الشاعر أحمد سويلم في قصيدة له بعنوان: (أنا والوردة) يجعل طفلًا ينجذب إلى وردة حمراء في الحديقة، وبلا تفكير يسرع فيقطفها وتتناثر أوراقها:

يجذبُني اللونُ الأحمرُ
يجعلني أجري أُمسكه بيدي
واليوم (كانت وردةٌ حمراءُ
في الحديقة)
وبلا تفكيرٍ
أسرعتُ إليها أَقْطِفُها
فتناثر بعضٌ منها[٢٢]..

وهنا تصرخ الوردة باكية، فيسألها الطفل عمَّ حدث، فهو لا يدرك ماذا فعل، وتجيبه الوردة بأنه انتزعها من شجرة عائلتها وهي مازالت صغيرة، بل وينقل سويلم الأطفال بعد ذلك ليشعرهم بجمال المحافظة على البيئة، وعدم العبث بها، فيجعل الوردة تصوّر للطفل ماذا سيحدث لو أنه حافظ عليها وسقاها بالماء، وأبعد عنها الحشرات:

لرأيتَ جمالًا..
وشمَمْتَ روائح عَطِرة
لكنَّك أسرعتَ بلا تفكيرٍ
تقطفُني
تُحْرِم نفسك من أجمل ما خلقَ الله[٢٣]!

وهنا يشعر الطفل بالخطأ الذي ارتكبه، ويطلب منها أن توجهه إلى ما يجب عليه فعله من أجلها، فتجيبه بأن يضعها في كوبٍ من الماء، ويضعها من مكان ترى منه نور الله، ويستجيب الطفل على الفور، ويظل يرعاها حتى كبرت:

قالت: أسرِعْ بي..
وضعني في كوبٍ من ماء
يسْري الماءُ إلى شُرْياني ثانيةً

وأُفَتِّحُ عينيَّ على نور الله.!

.....

أسرعتُ إلى كوبٍ من ماء

ووضعتُ الوردةَ فيه

حتى كبرت..

وتعلمتُ الحُبْ(٢٤).

النبات كذلك عنصر من عناصر البيئة التي تحيط بالطفل، ورعاية هذا النبات مسئولية تقع على عاتق الإنسان، وتربية الطفل على الاهتمام بهذا النبات، وعدم العبث به؛ لأن قطفه دون حاجة سيخل بالصورة الجمالية التي تكون عليها البيئة الطبيعية، ولم يجعل سويلم الطفل يكتفي بإحساسه بالخطأ الذي ارتكبه عندما قطف الوردة، بل ساعده على أن يصلح من هذا الخطأ، ويضع الوردة في بيئة أخرى تساعدها على أن تحيا أطول فترة ممكنة.

وفي مجال القصة نجد مجموعة قصصية بعنوان: (مغامرات وائل ووليد مع الطبيعة)، للكاتب وليد حسين صالح، وهي عبارة عن أربع قصص تتناول بعض الأزمات التي تتعرض لها عناصر الطبيعة، ومحاولة أبطال القصة (وائل، ووليد، وجدهما حسين) في إيجاد حلول لها، وهذه القصص هي:

- استغاثة شجرة.
- الكنز الكبير.
- ثورة الحمير.
- الصائد المكَّار.

بالإضافة إلى قصة خامسة يتناول فيها الكاتب أحلام الطفلين: (وائل، ووليد) التي يحلمان بتحقيقها في القرن الواحد والعشرين، وعنوانها: وائل ووليد، وأحلام القرن الواحد والعشرين.

ونأخذ القصة الأولى (استغاثة شجرة) كمثال للقضية البيئية داخل هذا العمل القصصي

يقضي وائل ووليد الإجازة الصيفية مع جدهما (حسين) الذي تعهد برعيتهما بعد وفاة والديهما، وقد طلبا من الجد أن يخرجا للعب في الحديقة أمام المنزل، وقد كان من عادتهما ري الأشجار والورد بالماء، وتنظيف ما يكون حولهما من قمامة أو متعلقات، وهنا يتبادر إلى ذهنهما سؤال[٢٥]: "لماذا يُلقي الناس بالقمامة عند هذه الأشجار الجميلة بهذه الصورة المؤسفة؟!"[٢٦].

ويجلس وائل ووليد تحت هذه الشجرة، ويرسم كل منهما على لوحته صورة جميلة من الطبيعة؛ ليعرضاها على جدهما[٢٧].

وفي اليوم التالي استيقظ وائل من نومه على مشهد فزع له؛ إذ وجد أن أشجارًا كثيرة قد قطعت، ولم يبقَ إلى الشجرة الكبيرة التي يلعبان تحتها، فأيقظ أخاه من نومه وهو يصرخ، وحزنا حزنًا شديدًا لما شاهداه، ودارت في أذهانهما مجموعة من الأسئلة عن سبب قطع هذه الأشجار[٢٨].

وهنا سمع وائل ووليد صوتًا غريبًا داخل الشجرة، ووجدا أن هناك بابًا يُفتح لهما داخل الشجرة، ويدعوهما هذا الصوت إلى الدخول: "هيَّا.. هيَّا ادخلا عندي يا أصدقائي.. أنا صديقتكما الشجرة"[٢٩].

فدخلا ووجدا حولهما مناظر طبيعية خلابة، ورحبت بهما الشجرة، وأخبرتهما أن اسمها (جذور)، وأنها أرادت أن تجيب عن الأسئلة التي تدور في ذهنهما عن سبب قطع الأشجار، وأن هذا الأمر قد تم بناء على رغبة الحاكم في توسعة الشوارع، رغم الفائدة العظيمة التي تعود على الناس من هذه الأشجار؛ إذ تنقي لهم الجو، وتظلل عليهم من الحر، وأضاف وليد أن الطيور كذلك تحتمي بها، وأوراقها تكون مفيدة للتربة بعد تحللها[٣٠].

وقد طلبت الشجرة منهما أن يساعداها في وقف قطع الأشجار؛ حيث قرر الحاكم قطع بقية الأشجار في الصباح الباكر، وخرج وائل ووليد من باب الشجرة، وتوجها إلى جدهما الذي أخبرهما أنه توجه مع بعض أهل الحي وقدما شكوى؛ لوقف هذا القطع[٣١].

وفي الصباح الباكر ذهب الحاكم ومعه بعض الأشخاص لقطع ما تبقى من أشجار، إلا أن الأهالي قد تجمعت؛ لمنعهم، وتوجه وائل ووليد مسرعين إلى الشجرة، واحتضناها وهما يبكيان، فسألهما الحاكم عن سبب البكاء، فقالا: "نرجوك أيها الحاكم لا تقطع هذه الأشجار.. نرجوك لا تقطعها"[٣٢].

ووعدهما الحاكم بعدم قطع الشجرة، وأمر بزراعة أشجار جديدة بدلًا من التي قُطعت بالأمس(٣٣).

حرص الكاتب من بداية القصة بتنمية عادة رعاية الطبيعة عند الأطفال؛ إذ كان ري الأشجار ورعايتها يوميًا مسئولية يتحمس لها وائل ووليد، وينمي كذلك الإحساس بالوعي الجمالي لمظاهر الطبيعة؛ إذ رسم كل منهما لوحة جميلة للطبيعة من حولهما، بالإضافة إلى محاولتهما في التخلص من مظاهر القبح التي تعوقهما من الاستمتاع بجمال هذه الطبيعة؛ فيتخلصان من القمامة والمتعلقات التي من شأنها أن تشوه جمال هذا المنظر(٣٤).

عندما قُطعت الأشجار جعل الكاتب وائل ووليد يشعران بعظم هذا الأمر وخطورته على البيئة؛ إذ يشكّل قطعهما أزمة بيئية، فالأشجار تنقي الهواء، وتحتمي الطيور بداخلها، ويستظل الناس بظلها من حرارة الشمس، فأحس كل منهما بدوره تجاه الحفاظ على هذه المساحة الخضراء، وفكرا في القيام بأمر يساعد في وقف هذا التعدي على الطبيعة، وفي ذلك تنمية لشعور الأطفال بمسئوليتهم تجاه أخطار البيئة من حولهم، ويدفعهم كذلك لمحاولة إيجاد حلول؛ للمساهمة في الحفاظ على البيئة(٣٥).

وجعل الكاتب من الشجرة صوتًا يدفع الأطفال لمحاولة مساعدتها، فكأن الطبيعة تستغيث بهم؛ لمنع التعدي عليها، وكذلك أهل الحي أسرعوا بمجرد رؤيتهم هذا التعدي بكتابة شكوى؛ لوقفهم عن تلك الجريمة التي تتم في حق البيئة(٣٦).

وبفضل محاولات الطفلين وأهالي الحي تم بالفعل وقف التعدي على الأشجار، ووعد الحاكم بزراعة أشجارة جديدة بدلًا من الأشجار التي قُطعت(٣٧).

الخاتمـــة:

- كانت البيئة وقضياها وما تتعرض له من أزمات إحدى الملفات التي سعت الجمهورية الجديدة إلى تبنيها.
- لم تهدف الجمهورية الجديدة إلى التخلص من الأزمات البيئية فحسب، بل ساهمت في تنمية الوعي البيئي والجمالي لدى الأفراد.
- مسئولية الحفاظ على البيئة هي مسئولية مشتركة بين الدولة ومؤسساتها المختلفة وكذلك أفراد المجتمع؛ لذا كان هذا الهدف منوطًا بتكاتف كل هذه المنظومة لدى الجمهورية الجديدة.
- إن البيئة من العلوم التي تداخلات فيها تخصصات مختلفة، وامتدت دراستها في ميادين متعددة.
- كان الإبداع الأدبي أحد التخصصات التي اهتمت بالبيئة ومفرداتها، وانعكست قضاياها على صفات الأدب الشعرية والنثرية.
- لم يكن اهتمام الأدب بالبيئة وليد العصر الحديث، بل اهتم الأدب بها منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.
- شكلت البيئة وعناصرها مرتكزًا مهمًا من مرتكزات الأدب، فكان من الطبيعي أن يتعرض الأدباء لما تعاني منه البيئة من أزمات ومخاطر، ويتبنون تنمية الوعي البيئي والجمالي لدى المتلقي.
- يعكس النقد الأدبي ما ينشغل به الأدباء؛ ولذا جاء النقد الايكولوجي كرد فعل لاهتمام الأدباء بالبيئة وأزماتها.
- يسعى النقد الايكولوجي إلى البحث عن مكانة البيئة داخل الإبداع الأدبي والفني؛ بغية رصد رؤى الكُتَّاب والمبدعين والمثقفين تجاه البيئة.
- يهتم النقد الايكولوجي بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية في النصوص الإبداعية.
- كانت البيئة وعناصرها من الأمور التي التفت لها كُتَّاب أدب الطفل؛ إذ يسعى الطفل دائمًا لاكتشاف عناصر البيئة من حوله.

- سعى أدباء الأطفال إلى تنمية الوعي البيئي والجمالي لدى الطفل في مراحله العمرية المختلفة؛ حتى إذا اعتاد على رؤية البيئة جميلة متوازنة يحافظ على هذه الصورة، ويقوم بدوره تجاه أي خلل بيئي أو جمالي.
- تبنى بعض الشعراء الذين كتبوا للطفل مسئولية تنمية الوعي الجمالي والبيئي لدى الطفل، ومنهم أحمد شوقي، ومحمد الهراوي، وأحمد سويلم.
- وتعددت الكتابات القصصية التي تبنت هذه القضية كذلك، ومنها المجموعة القصصية (مغامرات وائل ووليد مع الطبيعة)، للكاتب وليد حسين صالح، والتي قدَّم فيها مجموعة من القصص، هي: استغاثة شجرة، والكنز الكبير، وثورة الحمير، والصائد المكَّار، والتي دارت حول بيئة النبات والحيوان، وضرورة المحافظة عليهما، واختتم مجموعته بقصة (وائل ووليد وأحلام القرن الواحد والعشرين) التي يسجل من خلالها أحلامهما في المستقبل.
- حرص الكاتب على بروز دور الأطفال في هذه القضية، من خلال أبطال المجموعة القصصية (وليد، ووائل)؛ مما يعزز من حرص الأطفال على ضرورة المشاركة الفعالة في الحفاظ على البيئة.

هوامش البحث:

١. محمد عزام: ملامح التحول الرقمي بالجمهورية الجديدة، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، المجلد ٢١، العدد ٨٣، يوليو ٢٠٢١، ص ١٠٣.
٢. https://www.anahwa.com/٢٨٩٩٨٤، تم الرجوع إليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/٢٤.
٣. المرجع السابق.
٤. سامح غرايبة: المدخل إلى العلوم البيئية، الأردن: دار الشرق للنشر، ط ٢. ١٩٩٩م، ص ١٣.
٥. زكريا طاحون: إدارة البيئة نحو الإنتاج الأنظف، مصر: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٠.
٦. ينظر: شكري إبراهيم الحسن: مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها، العراق: دار المعارف للكتب الجامعية، ط ٢. ٢٠١٩م، ص ١٥.
٧. إيمان مطر السلطاني: النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٣٣، ٢٠٢١م، ص ١٣.
٨. يوسف واغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ١٦.
٩. ينظر: عبد العظيم علي قناوي: الوصف في الشعر العربي، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، ١٩٤٩م، ص ٨.
١٠. ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
١١. يراجع: محمد أبو الفضل بدران: أهمية النقد البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، ص ١٩٨ وما بعدها.
١٢. مايكل برانش: النقد الإيكولوجي، جدة: النادي الأدبي الثقافي، العدد ٣٦، ٢٠٠٧م، ص ٢٧.
١٣. هاني علي سعيد محمد: النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخيل)، لرضوى عاشور، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، العدد ٢٦، ٢٠٢٢م، ص ٤٥٨.
١٤. جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، د.ت، ص ٢٩٨.

١٥. ينظر: محمد أبو الفضل بدران: أهمية النقد البيئي في الدراسات النقدية، مرجع سابق، ص ١٩٦.
١٦. جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، مرجع سابق، ص ٢٩٨.
١٧. هاني علي سعيد محمد: النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، مرجع سابق، ص ٤٦٢.
١٨. المرجع سابق، الصفحة نفسها.
١٩. يراجع: عياضي أحمد: أدب الأطفال بين مراحل الطفولة وجماليات الكتابة، بحث منشور في مجلة: مهد اللغات، المجلد ٢، العدد ٣، ٢٠٢٠، ص ٣٦.
٢٠. محمد الهراوي: سمير الأطفال، القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسين الأكبر، ١٩٢٢م، ص ٤٣.
٢١. أحمد شوقي: ديوان شوقي للناشئة، تقديم: أحمد سويلم، دار الشروق، ط ٢. ٢٠٠٩م، ص ٦٩.
٢٢. أحمد سويلم: أنا.. وأصدقائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٣.
٢٣. المرجع سابق، ص ٥.
٢٤. المرجع سابق، ص ٧.
٢٥. ينظر: وليد حسنين صالح: مغامرات وائل ووليد مع الطبيعة، الشهد للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، ص ٧.
٢٦. المرجع السابق، الصفحة نفسها.
٢٧. ينظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها.
٢٨. ينظر: المرجع السابق، ص ٧، ص ٨.
٢٩. ينظر: المرجع السابق، ص ٨.
٣٠. ينظر: المرجع السابق، ص ٨، ص ٩.
٣١. ينظر: المرجع السابق، ص ٩.
٣٢. المرجع السابق: ص ١١.
٣٣. ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.
٣٤. يراجع: المرجع السابق، ص ٧.
٣٥. يراجع: المرجع السابق، ص ٨ وما بعدها.

٣٦. يراجع: المرجع السابق، ص ٩ وما بعدها.

٣٧. يراجع: المرجع السابق، ص ١١، ١٢.

مراجع البحث:

- أحمد سويلم: أنا.. وأصدقائي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- أحمد شوقي: ديوان شوقي للناشئة، تقديم: أحمد سويلم، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٩م.
- إيمان مطر السلطاني: النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد٣٣، ٢٠٢١م.
- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، د.ت.
- زكريا طوحون: إدارة البيئة نحو الإنتاج الأنظف، مصر: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م.
- سامح غرايبة: المدخل إلى العلوم البيئية، الأردن: دار الشرق للنشر، ط٢، ١٩٩٩م.
- شكري إبراهيم الحسن: مقدمة في علم البيئة ومشكلاتها، العراق: دار المعارف للكتب الجامعية، ط٢، ٢٠١٩م.
- عبد العظيم علي قناوي: الوصف في الشعر العربي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٩م.
- عياضي أحمد: أدب الأطفال بين مراحل الطفولة وجماليات الكتابة، بحث منشور في مجلة: مهد اللغات، المجلد٢، العدد٣، ٢٠٢٠.
- مايكل برانش: النقد الإيكولوجي، جدة: النادي الأدبي الثقافي، العدد٣٦، ٢٠٠٧م.
- محمد عزام: ملامح التحول الرقمي بالجمهورية الجديدة، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، المجلد ٢١، العدد٨٣، يوليو ٢٠٢١.
- محمد أبو الفضل بدران: أهمية النقد البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية.
- محمد الهراوي: سمير الأطفال، مصر: مطبعة الاعتماد بشارع حسين الأكبر، ١٩٢٢م.
- هاني علي سعيد محمد: النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخيل)، لرضوى عاشور، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، العدد٢٦، ٢٠٢٢م.

- وليد حسنين صالح: مغامرات وائل ووليد مع الطبيعة، الشهد للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م.
- يوسف واغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

المواقع الإلكترونية:

https://www.anahwa.com/٢٨٩٩٨٤، تم الرجوع إليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/٢٤.